

علموا طفلكم التسامح



يساعده على تقبّل الآخر المختلف يحاول أطفال الجيل الجديد تجديد انتماهم وسط عالم مليء بالاختلافات: اختلاف في الأجناس والمعتقدات واللغات والقدرات والتقاليد والأعراق. ولأنّ الطفل أخذ يلاحظ هذا التنوع بين أنداده، وفي المدارس والشوارع والحدائق العامة، بدأ يُصنّف البشر في ذهنه إلى فئات مختلفة. المقلق في الأمر، أن تصنيفات البشر إلى فئات مختلفة، أخذت تتजذرّ بعمق في نفوس الأطفال وتتطور مع مرور الوقت إلى حد التمييز بين الناس. فأخذ الطفل ينحاز إلى أبناء بلده ويضعهم في مرتبة أفضل من بقية الفئات الأخرى، ويعتبر أنّه من المفروض أن يقوم سكان بلده وحدهم بالأعمال الحيّدة ويتبوؤ المراكز العليا، بينما يفترض أن يقوم الآخرون والغربياء بالأعمال القدرة. وأصبح هذا الطفل يعتمد على الطبقة التي ينتمي إليها أنداده عند اختياره الأصدقاء من بينهم. يتغافل خبراء التربية من هذا التوجّه، لأنّهم لاحظوا أنّ هذا النوع من التصرف بدأ ينتشر بين أطفال في عمر ثلاث سنوات. وقد لاحظوا أيضاً أن تصرفات الأُمّ نفسها تؤثّر في انحياز الطفل أو تحامله على الآخر الغريب. مثلاً، إذا شاهدت الأُمّ، أثناء وجودها في الشارع مع طفلها، أشخاصاً غرباء يسيرون نحوهما، تقوم حالاً بالإمساك بيد طفلها. بتصرّفها هذا، تُوحّي الأُمّ لطفلها أن عليه أن يخاف من الغريب المختلف عنه. كما أن ما يشاهده الطفل على شاشة التلفزيون، أو في السينما، يُسهم في تحامل الطفل على الغريب. فإذا أراد الأهل أن ينشأ أطفالهم على التسامح وعدم التمييز بين الناس عندما يصيّبون بالغرين، من واجبهم أن يكونوا هم أنفسهم

متسمين. مع تناهي شعور عدم التسامح في كل أنحاء العالم، أصبح الأهل في حاجة إلى معرفة كيف يتعلم الناس محبةً أو كره الآخرين. إن أفضل وقت للبدء في تعليم الطفل التسامح، هو عندما يكون صغيراً بعد، أي عندما تكون قدرته على تصنيف البشر لا تزال مرنة. هناك طرق عدّة يمكن أن تساعد على تعليم الطفل التسامح. على الأُمّ أن تناقش الموضوع بنفسها مع طفلها. يمكنها أن تشير إلى الأشياء التي يكون فيها تمييزاً عن غيره. مثلاً، يمكنها أن تُبيّن له أزنه على الرغم من قصره ومن استخدامه النظارات، لكنه يتميز عن غيره بإجاده كرة القدم. عليها مقارنة الصفات المتميزة عند طفلها مع الاختلاف الذي يلاحظه عند أنداده. يجب أن تحدثه عن حقيقة أن بعض الأشخاص يعتقدون أن الاختلافات تجعل من الآخرين أشخاصاً قدريين أو لا قيمة لهم، ولكن هذا ليس صحيحاً، وأنها لا تتفق لا هي ولا بقية أفراد العائلة على هذا الرأي. إن الأقوال وحدها لا تفيّد إن لم تكن مقرونة بالأفعال. يجب أن تسعى الأُم إلى إلزام طفلها بالوجود في أماكن حيث يوجد أشخاص مختلفون، مثل الحدائق العامة أو الملعب، أو المشاركة في أنشطة تضم أطفالاً متنوعين، مثل كرة السلة أو كرة القدم. عليها ألا تشير في أحاديثها إلى الأشخاص المختلفين في وجود طفلها وعدم وجوده أيضاً. فلا تقول مثلاً: أسود، مسلم، مسيحي، قبيح... إلخ. لأن الأُم المتتسامة لا يمكن إلا أن تربى طفلها على التسامح. عليها تعليم طفلها أزنه بدلاً من أن يكره شخصاً ما، عليه أن يحاول التعرف إليه فقد يكون إنساناً محبًا. فكلما كان الطفل واعياً ورحيناً صعب عليه أن يكره.

مواجهة التمييز: كيف تتصرف الأُم في حال طفلها ضحية التمييز. إذا اكتشفت الأُم أن طفلها ضحية تمييز من أي نوع، فعليها:

- التأكد من أن طفلها آمن جسدياً: إذا تأكد للأُم أن طفلها تعرض لاعتداء بالضرب، عليها ألا تقلل من أهمية المشكلة، بل يجب أن تسارع إلى الاتصال بالشخص الذي اعترض على طفلها وتعرف منه أسباب اعتدائها عليه، وأن تتحدث إلى كل من كان موجوداً أثناء الاعتداء لترفع من معنوياته. أمّا إذا كانت سلامة طفلها العاطفية هي التي تعرضت للخطر، فعليها أن تساعده على التحدث عن مشاعره، وتحاول التخفيف عنه، وأن تُبيّن له أزنه تقدماً دائماً إلى جانبه لمساندته.
- تعزيز إحساس الطفل بنفسه: إذا تعرض الطفل لشكل من أشكال التمييز، على الأُم أن تنتهز فرصة شعوره بالغبن وتقول له إن التمييز ضده، كما ضد الآخرين، خطأ كبير لأنّه يؤدي المشاعر. لذا، عليه ألا يحاول اضطهاد أحد أو يصف مَنْ أساء إليه بصفات غير مقبولة. وقد يكون من المفيد أن تحدثه عن أمور مشابهة حدثت معها عندما كانت صغيرة، وكيف أنها استطاعت تخطي شعورها وتعززت ثقتها بنفسها، من خلال مساحتها لمن أساء إليها.
- تحضير الطفل لاحتمال تعرسه لحالات مماثلة: على الأُم أن تفهم طفلها أن عليه الطلب من الطرف الآخر الذي يضطهده لأي سبب أن يكف عن إهانته ونعته بصفات سيئة.

- الطفل المعتمدي: ماذا تفعل الأُم في حال كان طفلها هو

المعتدي؟ 1- عليها أن تضع حد^١اً لتصرفه السيء حالاً: على الأُم أن توضح لطفلها أن تصرفه مع الآخر المختلف، مرفوض تماماً، وأنّها ستُعاقبه لو أتى التصرف نفسه. 2- عليها طلب من طفلها ألا يؤذи الآخرين: على الأُم أن توضح لطفلها أن تجامله على الطرف الآخر والتعابير التي يستخدمها وفي وصفه غير صحيحة وغير مقبولة. كما أن عليها أن تقول له إن نعم الأشخاص بصفات غير مقبولة عمل مُؤذٍ. 3- عليها أن تكون المثال الجيد: على الأُم أن تكون النموذج الجيد للتسامح ليقتدي بها طفلها. للأُم تأثير قوي حيال رد فعل طفلها نحو الثقافات والأعراق المختلفة. وبما أن تعليم التسامح عملية لا تنتهي عند حد معين، يجب أن تبقى الأُم بباب الحوار مفتوحاً مع أطفالها وأن تكرر على مسامعهم أنَّ التسامح وقبول الآخر من المسلمين التي لا تقبل النقاش. إن تعليم التسامح وقبول الاختلاف الشخصية يسمح للطفل بأن يتعلم أهمية المجتمع. لكن، ولسوء الحظ، هناك مَن يشجع على عدم التسامح، بسبب جهله وبسبب التعصب الأعمى والتمييز العنصري والكراهية. لهذا، من المهم أن تعلم الأُم طفلها التسامح في سن مبكرة، لأنَّه عندما يكون الإنسان متسامحاً فإنَّه يحترم الآخر ويحافظ على مشاعره ويتقبله حتى لو كان مختلفاً عنه في الجنس والعرق والدين. - أساليب مساعدة: ولأنَّنا نعيش في عالم متتنوع، ومختلف، ومتغير، من الضروري أن نعلم أطفالنا التسامح. هذه بعض الأساليب التي قد تساعد في هذا المجال:

التسامح عبر عرض بعض النماذج للتمييز والكراهية عليه: لا أحد يولد وفي داخله مشاعر البغض للآخر. ولا أحد يولد وفي داخله إحساس لأنَّه أفضل من الآخر. فهذه تصرفات مؤذية يتعلمها الطفل من محیطه. فإذا كان الطفل ضحية للتمييز وعدم التسامح، يمكن أن تنطلق الأُم من هذه النقطة وتعلمه التسامح. كما يمكنها إخباره عن نتائج عدم التسامح وأهمية أن يكون متسامحاً مع الآخرين حتى لا يُؤثِّر في إلحاق الأذى بهم. مثلاً، إذا أبعد الطفل من فريق كرة السلة لأنَّه قصير، أو لأنَّه يستخدم النظارات، عليها سؤاله ع شعره وأن تؤكد له أن إبعاده عن الفريق بسبب قصره فقط، هو تصرف غير مقبول وغير عادل، ثمَّ عليها أن تنبهه إلى تجنب اضطهاد أحد، لأن تجامله على شخص يختلف عنه في اللون أو الدين أو الثقافة لا يختلف عن تصرف رفاقه الذين تسببوا في أذيته. فالأطفال يولدون متسمين.

تعليم الطفل التسامح من خلال الأمثلة: إذا كانت الأُم ترغب

فعلاً في أن يكون طفلها متسامحاً، فيجب أن تبدأ بنفسها. فالأطفال يطبقون ما يتعلمون، وهم غالباً ما يتعلمون من خلال المراقبة. فإذا لاحظ الطفل أن أمَّه تخاف من شخص ما لأنَّ لون بشرته غامق، أو لأنَّها لا تحبه لأنَّه يختلف عنها في الدين، عندها يتعلم الطفل عدم التسامح، الكراهية، التمييز، والانحصار. أما إذا رأها تساعد الفقير والمحاج، وتُصادق الذين يختلفون عنها في الجنس والدين والثقافة، فسيتعلم أن يكون متسامحاً مثلها. في

إِمْكَانِ الْأُمْ وَقْفَ عَاجِلَةِ الْكَرَاهِيَّةِ وَالْتَّميِيزِ وَالْاِنْحِيَارِ، إِذَا كَانَتِ الْمَثَالُ الْجَيِّدُ لِلْحُبِّ وَالْتَّسَامِحِ.

الْأُمُّ تَرِيدُ أَنْ يَكُونَ طَفْلَهَا مَتَسَامِحًاً مَعَ الْآخِرِينَ، فَعَلَيْهَا أَنْ تَكُونَ وَاضِحةً فِي حَدِيثِهَا مَعَهُ عَنِ التَّسَامِحِ. فَإِذَا سَمِعَتِهِ يَطْلُقُ النَّكَاتَ عَلَى الْأَشْخَاصِ الْمُخْتَلِفِينَ عَنْهُ، أَوْ يَتَحَدَّثُ بِعَنْصُرِيَّةِ عَنْ ذَوِي الْبَشَرَةِ السُّودَاءِ، أَوْ يَعْلُقُ تَعْلِيقَاتِ تَسْبِيَّةٍ إِلَى الْطَّرْفِ الْآخِرِ، فَعَلَيْهَا أَنْ تَلْفُتَ اِنْتِبَاهَهُ إِلَى تَصْرِفَاتِهِ الْمَرْفُوضَةِ بِوَضْوِحٍ. وَسَوْاءً صَدِرَ الْكَلَامُ الَّذِي يَدْلُلُ عَلَى الْعَنْصُرِيَّةِ عَنْ طَفْلَهَا أَمْ عَنْ شَخْصٍ كَانَ يَتَحَدَّثُ عَلَى شَاشَةِ التَّلْفَزِيُّونَ، عَلَيْهَا أَنْ تَوْضُعَ لَهُ أَنْزَهَهُ لَا تَصْرِفَهُ وَلَا تَصْرِفَ الْشَّخْصَ الْآخِرَ مَقْبُولًا. عَنْدَمَا يَحْصُلُ وَيَنْحَازُ الطَّفْلُ أَوْ يَتَحَمَّلُ عَلَى طَرْفٍ آخَرَ أَوْ يَظْهُرُ مَشَاعِرُ الْكَرْهِ نَحْوَهُ، عَلَى الْأُمِّ اِنْتِهَازُ الْفَرْصَةِ لِتَحْدِثَهُ عَنِ التَّسَامِحِ. فَإِنَّ الْطَّفْلَ لَنْ يَصْبُحَ مَتَسَامِحًاً إِلَّا إِذَا تَعْلَمَ مَعْنَى التَّسَامِحِ. لَذَا، عَلَيْهَا اِنْتِهَازُ الْفَرْصَةِ كَلَمَا أَتَى الْطَّفْلَ تَصْرِفًاً غَيْرَ مَقْبُولًا وَأَنْ تَعْلَمَ كِيفَ يَحْبُّ وَيَتَقْبَّلُ الْآخِرِينَ سَوْاءً أَكَانُوا مِنْ ذَوِي الْبَشَرَةِ السُّودَاءِ، أَمْ قَصَارًاً، أَمْ طَوَالًاً، أَمْ أَذْكِيَاءً، أَمْ مُتَخَلِّفِينَ عَقْلِيًّاً.. إِلَخ. كَلَمَا أَكَدَتِ الْأُمُّ هَذِهِ الْحَقَائِقَ، أَصْبَحَ أَسْهَلُ عَلَى الْطَّفْلِ تَقْبِلُهَا.

تَعْلِيمُ التَّسَامِحِ وَتَقْبِيلُ الْآخِرِ: إِنَّ سَنَوَاتِ التَّشْكِيلِ الْأُولَى مِنْ

عُمُرِ الْطَّفْلِ، هِيَ أَفْضَلُ وَقْتٍ لِيَتَعْلَمَ التَّسَامِحُ وَيَتَقْبِلُ الْاِخْتِلَافَاتِ وَيَدْرُكُ التَّنْوُعَ فِي الْمَجَمِعِ. فَخَلَالِ السَّنَوَاتِ الْأُولَى، يَبْدُأُ الْطَّفْلُ فِي تَكْوِينِ رَأِيهِ عَنِ نَفْسِهِ وَعَنِ الْعَالَمِ الْمُحِيطِ بِهِ. مِنَ الْمَهمِ أَنْ يَطْوُرَ الْطَّفْلُ مَفْهُومًاً "ذَاتِيًّاً" إِيَّاهَا بِيَاهَا مِنْ خَلَالِ تَجَارِبِهِ الْخَاصَّةِ مَعَ الْاِنْتِمَاءِ وَالْقِبُولِ. - حِيَاةُ مَرِيَّةٍ: مِنَ النَّاحِيَّةِ الْفَكْرِيَّةِ، يَتَعْلَمُ الْطَّفْلُ أَنَّ الْذَّكَاءَ أَوْ اِمْتِلَاكِ الْقَدْرَاتِ، أَوْ دُمُّرَةِ اِمْتِلَاكِهَا، تَؤْمِنُ حِيَاةُ مَرِيَّةٍ وَمَرْضِيَّةٍ، بَلْ إِنَّ التَّقْرِبَ مِنَ الْآخِرِ وَتَقْبِيلَهِ يَلْعَبُانِ دُورًاً فِي هَذَا الْمَجَالِ. يُمْكِنُ أَنْ يَسْهُلَ الْأَهْلُ عَلَى أَجِيَالِ الْمُسْتَقْبِلِ تَقْبِيلَ مَجَمِعَاتٍ شَامِلَةٍ تَضُمُّ بَشَرًاً مِنْ كُلِّ الْأَلوَانِ وَالْأَجْنَاسِ وَالْأَدِيَانِ مِنْ خَلَالِ: 1- التَّسْلِيمُ بِالْاِخْتِلَافَاتِ: عَلَى الْأُمِّ أَنْ تَطْلُبَ مِنْ طَفْلَهَا أَنْ يَعْلُقَ عَلَى الْاِخْتِلَافَاتِ فِي الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ يَعْرَفُهُمْ. عَمَرٌ طَوِيلٌ، لِيَلِي تَضَعُ نَظَارَاتُ زَطَّارٍ، عَلَى يُتَّأْتِيَ، هُنَّ قَصِيرَةً، لَوْنٌ بَشَرَةٌ حَازِمٌ سَمْرَاءٌ أَوْ سُودَاءً.. إِلَخ. ثُمَّ تَبَيَّنَ لَهُ أَنْزَهَهُ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ تَنْوُعِ الْبَشَرِ الْوَاسِعِ، إِلَّا أَنْ نَقَاطَ التَّشَابِهِ فِي مَا بَيْنِهِمْ تَفُوقَ نَقَاطَ الْاِخْتِلَافِ. إِنَّهُمْ جَمِيعًا يَتَقَاسِمُونَ الْحَاجَةَ إِلَى الْحُبِّ وَالْمَدَاقِقَةِ وَالْقِبُولِ. 2- الْحِرْصُ فِي التَّصْرِيفِ وَاسْتِخْدَامِ الْلِّغَةِ: عَلَى الْأُمِّ أَنْ تَحْرِصَ عَلَى أَنْ لَا تَطْلُقَ صَفَاتَهَا عَنِ الْاِخْتِلَافَاتِ. قَدْ تَكُونُ لَدَى بَعْضِ الْأَشْخَاصِ إِعَاقةً جَسَديَّةً أَوْ عَقْلَيَّةً، وَلَكِنْ عَلَيْهَا أَنْ تَسْتَخِدْ تَعَابِيرَ إِيجَابِيَّةٍ عَنِ الْإِعَاقةِ. مَثَلًاً، بَدْلًاً مِنْ أَنْ تَقُولَ الشَّخْصُ "الْعَاجِزُ أَوْ الْمَشْلُولُ" يُمْكِنُهَا القَوْلُ: الشَّخْصُ الَّذِي "يَسْتَخِدِمُ الْكَرْسِيَّ الْمَدَوِّلَبَ"، أَوْ الْطَّفْلُ الَّذِي يَشْكُوُ التَّوْحُدَ، لَا الْطَّفْلُ الْمَجْنُونُ. 3- تَشْقِيقُ الْطَّفْلِ حَوْلَ الْعَجَزِ: عَلَى الْأُمِّ أَنْ تَؤْكِدَ لَطَفْلَهَا أَنَّ "الْعَجَزَ لَيْسَ عَقَابًا" مِنْ أَنَّهُ، وَلَا هُوَ مَرْضٌ مُعْدِيٌّ. فَمُعْظَمُ حَالَاتِ الْعَجَزِ لَا تَدُومُ طَوِيلًاً، وَالشَّخْصُ الَّذِي يَعْانِي الْعَجَزَ لَيْسَ شَخْصًاً مَرِيَّضًاً، وَقَدْ لَا يَحْتَاجُ إِلَى عَلاجٍ دَائِمٍ أَوْ إِلَى مَسَاعِدَةٍ

الآخرين. 4- وضع قوانين واضحة بشأن التعامل باحترام مع الآخرين: عادة ما يكون العجز لدى الأء فالصغرى هدف لتسليط الآخرين. على الأء أن توضح لطفلها أن "التسليط على الآخرين وخاصة العاجزين، أمر مرفوض كلياً". 5- الرد على أسئلة الطفل بصدق ووضوح وبساطة: يجب أن تقدم الأء لطفلها معلومات واقعية عن حالات العجز التي يمكن أن يعانيها بعض الأطفال، وعن الاختلافات في الدين والعرق والثقافة. فهذا يعلم الطفل أزه لا بأس من تقبيل الآخر المختلف مادام يحترمه ويقبله هو أيضاً. 6- السماح للطفل بأن يقوم بالاستكشاف أثناء اللعب: يمكن أن تدع الأء طفلها يقوم بـلعبة أدوار حساسة، مثل دور شخص أعمى أو شخص يتتجول فوق كرسي مدولب، حتى يكتشف بنفسه كيف يشعر هؤلاء الأشخاص. عليها أن توضح لطفلها كيفية التغلب على المعوقات في المنزل والصف والمجتمع، ومساعدته على فهم أن بعض المعدات، مثل الورك وسائل السمع والبصر، ليست أدوات للعب. 7- البناء على مرحلة الطفولة التي عاشتها الأء: حتى تفهم الأء من أين يأتي عدم التسامح، يجب أن تعود إلى مرحلة طفولتها هي وتتذكرة الحالات التي تعرضت فيها للاضطهاد أو التمييز. عليها أن تتحدث عن تجربتها بصدق وبلا خجل لتعلم طفلها التسامح. 8- الحذر من وسائل الإعلام: على الأء أن تضع نصب عينيها أن لوسائل الإعلام تأثيراً قوياً في تشكيل المواقف. لذا، عليها اختيار القصص والألعاب وأشرطة الفيديو وبرامج التلفزيون بحذر شديد.